

الخميس 03-04-2008

216- قراءة في أحلام فترة النقاهة

(حلم 45) ، (حلم 46)

حلم 45

على سطح البحيرة ينطلق قاربي البخارى وذاك قارب آخر يتبعني أو هكذا خيل إلى، وأسرع فيسرع وساورني القلق. ولكن لماذا يتبعني؟

ووجدتني أقرب من مرسى فخم فرسوت وصعدت سلما إلى شرفة واسعة وعرفت أنها تتبع السفارة الروسية، وكانت الشرفة مليئة بالمعزين الذين جاءوا يعززون في وفاة فقيده عزيزة.

وسلمت على السفير وجلست أسمع ما يقال عن الفقيده. وأنظر إلى البحيرة فلا أرى أثرا للقارب الآخر فاطمأن قلبي.

وقمت في الوقت المناسب إلى قاربي وانطلق بي في اتجاه الشاطئ الآخر ونظرت خلفي فرأيت القارب الغريب وهو ينطلق ورائي وكنت بلغت وسط البحيرة فرأيت من الأفضل أن أسير إلى الشاطئ عن الرجوع إلى السفارة وقلت أنه عند الشاطئ يتضح حقيقة الموقف المواجهة بكل قوة.

القراءة

هي البحيرة هذه المرة، ليست البحر ولا النيل كما كان الأمر في خلفية أحلام أخرى كثيرة (مثلا 21، 11، 44... الخ)، وصلتني حركية هذا الحلم باعتبارها إحدى تشكيلات المطاردات التي أصبحت ملمحا متكررا في أحلام النقاهة بصفة عامة، تنوعت المطاردات بكل الأشكال ولم تقتصر علي من يتبعه، بل امتدت إلى من يتقدمه (حلم 23، يسبقه لكنه يسحبه إليه، وهو يضمرا أمرا)

تحضرن هذه الصور هكذا لتعلن أن ثم "آخرا بداخلنا" مُسقطا يواكبنا ليعلن حركية قدرنا الجدلي الرائع، ليس بالضرورة أن يكون هذا الآخر هو الذات الطفليه داخلنا، أو ذات الوالد، أو حتى القرين، لكنه مجرد "آخر"، هو أيضا ليس الضمير، لم يكن كذلك أبداً.

هو ذلك "الحضور الآخر"، هو إعلان الازدواج أو التعدد، فليكن النقيض، أو المراقب، أو البديل، أو ما ليس "كذلك" والسلام.

المهم أنه "آخر"

بدا لي أن هذا هو ما عبر عنه الحلم هنا بهذا الزورق الآخر.

فقيدة السفارة الروسية هي فقيدة عزيزة، لكن موتها ليس نهاية المطاف.

كانت الشيوعية: العدل، الناس، اللاغتراب، كانت أمل أي إنسان لم يتنازل عن وعيه، أو لم يُسرق منه وعيه، لاحت أملا لكل عاقل لتحقيق العدل وكسر الاغتراب وشل السلطة المسيطرة على أقدار البشر مجرد أنها سلطة، لكن حين اختبر تحقيق هذا الأمل وانقلب حلما يوتوبيا روسيا شموليا واختبر على سطح الأرض في شكل حكومة وناس وشهوات وضعف بشري، مات الحلم الطوبائي،

لكن ليس معنى هذا أن يموت الأمل،

هل كان حلما اختفى بالاستيقاظ؟ أم كان حَملاً نزل قبل أن يكتمل؟ أي أنه أجهض؟

أم أنه كان حَملاً خارج رحمه الطبيعي فلم ينته بولادة طبيعية؟

مات الحلم ولم يمِت الأمل في العدل،

فُنُصِب السرادق في السفارة الروسية (وليس في كل الدنيا) وتقبل محبوبا الميت العزاء، في سرادق موته، وليس في محافل احتمالات ولادته من جديد.

وَجِب العزاء

لكن لم ينته التاريخ

العزاء في ماذا؟

في التجربة الروسية التي تمثل التطبيق العاجز أو التطبيق الناقص أو التطبيق قبل الأوان، وليس العزاء في جنين العدل مهما تأجلت الولادة،

كانت العزيزة الفقيدة تثير صراعا جيدا أنْ ثم حلا آخر في نظام آخر، ومن ثم يحضرنا الصراع الذي يتخلق منه الجانب الآخر (القارب الآخر) ليتابع المسار في تحفز للانقضاض، أو في شغف لمعرفة النتيجة، لكن حين تعلن النتيجة أن العزيزة ماتت، ولو في هذا الموقع فقط، في هذه المرحلة فقط فإن الصراع يتراجع ولا يتوقف نهائيا، لا يبقى في هذه الوقفة المؤقتة إلا واجب العزاء، وبالتالي يحتفى الزورق الآخر، ويعلن أمثال فوكوياما نهاية التاريخ.

التاريخ لم ينته، والنقيض ليس هو الحل مهما تأكدنا من موت العزيزة "النسخة الروسية"،

لابد من مراجعة لا تراجعاً.

ها هو الانسان يتوجه إلى الشاطئ فيظهر الصراع من جديد،

الانسان وهو يسعى للعدل لا يقبل أن ينتهى لاجئنا ساكنا في المرسى الفخم لأى سفارة، وهو يرجع لا يتراجع ليبدأ آملاً في اشتراكية أخرى، وعدل حقيقى آخر،

من حق الناس أن تحافظ على حياتها على حركتها، على تعددها، على جدلها، على حلمها، على قيامها أبداً بعد سقوطها.

الراوى لم يخف من المطاردة الجديدة، التى تعلن حيوية التناقض، والأمل فى جدل خلّاق وهو لم ينتكس إلى التجربة الفاشلة (الرجوع إلى السفارة) بل هو مضى يواصل سعيه الدؤوب إلى الشاطئ الآخر محتفظاً بأمله، مهما كانت حدة المطاردة تغريه بالرجوع والتخلى عن الصراع، والرجوع عن إعادة المحاولة.

لا مفر من احتمالات جديدة، وتجارب جديدة، تثبت أن العزيزة التى ماتت هى تجربة واحدة، وليست الفكرة الأصل الواعدة.

إذا لم يكن الأمل قد تحقق من خلال هذه المحاولة أو تلك (النموذج الروسى) فماتت عينة محدودة من المنظومة العزيزة مبتسرة، ماتت قبل أن تكتمل، فليكن الوصول إلى الشاطئ من جديد هو إعلان الحق فى المحافظة على الأمل فى مواصلة السعى فى اتجاه آخر وآخر وآخر،

هذا الشاطئ "الآخر" لا يعلن نهاية الحركة، لكنه ربما يكون تحديداً أننا لابد أن ننطلق من أرض الواقع ونحن نعاود البداية، رافضين التسليم لأحد الجانبين.

الزعم بنهاية التاريخ هو بمثابة إعلان موت التاريخ.

التاريخ لا يموت،

وإنما يتجدد وهو يتعلم من أخطائه.

حلم 46

جمعنا حديقة. درج صاحبنا يغنى ونحن نسمع ونطرب ويعلو منا هتاف الوجد والاستحسان. وأزعجنا العباد فشكونا إلى الشرطة. ورأينا الشرطة قادمة فتفرقنا لانذين بالفرار. جريت فى الاتجاه الذى اتفق وكلما نظرت خلفى رأيت الشرطى يجرى فى إثرى بكل قوة وإصرار، وظهر لى شخص يجرى أمامى وكأنه يفر منى. من يكون ذلك الشخص؟ ذكرتنى رشاقته وجميل قوامه بالخبيبة. وهكذا سعدنا البرج فوق سطحه منتنى النفس

